**"الأقباط عنصر أساسى فى الأمة المصرية، لايمكن أن تقوم دراسة صحيحة عن مصر وشعبها دون د راسة للأقباط تا ريخا ولغة وجنسا وأدبا وفنا "**

**لمثلث الرحمات المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية**

**ومساهمة منا فى نشر الوعى بالتاريخ القبطى فأننا نقتبس من كتاب**

**حضارة مصر فـــى العصر القبطى**

**تأليف مراد كامل**

## ثالث : الحياة الفكرية

## 1 – الإنتاج العقلى والفلسفة

الحالة الفكرية وقت ظهور المسيحية :

كانت الإسكندرية قد وصلت إلى درجة عظيمة من الأهمية ، حتى أصبحت تعتبر بحق العاصمة الثقافية للعالم وقلب العالم الهلينى النابض . وكانت مكتبتها تزخر بمن يفد إليها من العلماء والفلاسفة وطلاب المعرفة ، لا من بلاد اليونان فحسب وإنما من كل جهات العالم ، يجلبون معهم علوم بلادهم وثقافتها . وازدحمت المدينة بأناس من شتى الأجناس والأديان والثقافات ، حتى لكأنها كانت معهداً ثقافياً.

كان فيها المصريون الوطنيون بديانتهم المعروفة ومعابدهم وآلهتهم المصرية ، وإلى جانبهم عاش اليونان بلغتهم العالمية وفلسفتهم وآلهتهم الإغريقية والمتمصرة ، والرومان بأنظمتهم وقوانينهم وثقافتهم وعباداتهم ، وكان هناك اليهود يمثلون عنصراً هاماً فى المدينة ولهم فيها حى خاص ومعهم ديانتهم الإلهية وكتابهم الموحى به وتقاليدهم الموروثة ، وكانت هناك أجناس أخرى شرقية فى المدينة لها أيضاً عباداتها وثقافتها .

وقد التقى كل أولئك فى شوارع المدينة وأسواقها . وقامت مناقشات دينية وعقلية حامية كانت تؤدى الحماسة لها أحياناً إلى معارك ومنازعات . كما تقابل علماء كثيرون فى المكتبة وتناقشوا فى خصومة حيناً وفى تفاهم حيناً آخر ، وكانوا يأخذون من الحكام مساعدات مالية ، وهكذا تأسست مدرسة الإسكندرية المشهورة وأخذت الإسكندرية مكان أثينا كمركز أدبى للعالم اليونانى .

ومن ذلك كله حدث لون من الإمتزاج الفكرى تولدت عنه أفكار وفلسفات ومذاهب جديدة . بل حدثت محاولات للتوفيق بين الأديان المتعددة فى حركة عرفت باسم " التوفيق " .

واليهود الذين كانوا منعزلين عن الأمم ، بقيت جماعة منهم محتفظة بتقاليدها بينما اختلط الباقون بغيرهم من الشعوب ، وعملوا على التقريب بين ديانتهم والفلسفات القائمة فمزجوا بين الاثنتين . حتى أنه فى القرن الثانى قبل المسيح كتب أرسطوبولس تفسيراً للتوراة حاول فيه التوفيق بين تعاليمها والفلسفات المعاصرة ، بل قال إن فيثاغوراس وسقراط وأفلاطون وأرسطو تأثروا بكتابات موسى النبى واعتمدوا عليها فى كتاباتهم . وفيلون الفيلسوف اليهودى الإسكندرى الذى عاش فى القرن الأول الميلادى حاول هو أيضاً التوفيق بين العقل والوحى ، وتأثر بالأفلاطونية ، وكان له تأثيره على المسيحيين فيما بعد .

ولكن كل هذه المحاولات للتقريب أضافت إلى الأفكار المتضاربة أفكاراً جديدة ، ولم تستطع أن تصل بالناس إلى الحق الواحد ، بل ظل العقل البشرى حائراً يتساءل أين توجد الحقيقة . واحتدم النزاع بين فلسفات وفلسفات ، وبين أديان وأديان ، وبين الفلسفة والدين ،وبين العقل والإيمان .

## الصراع بين المسيحية والفلسفة اليونانية :

وسط كل ذلك ظهرت المسيحية فى الإسكندرية حوالى سنة 65 م وانتشرت فى فترة وجيزة فى مصر كلها . وكان عليها لكى تبقى أن تصمد أمام اضطهادات الحكام ، وأن تتصارع مع كل الأديان والفلسفات والمذاهب سواء منها الوثنية أو اليهودية .

وهكذا حدثت مفارقة عجيبة فى الإسكندرية ، فاتخذ كل من الفريقين أسلحة الآخر ليحاربه بها . فدرس المسيحيون الفلسفة للرد على الفلاسفة ودرس الوثنيون الكتاب المقدس لمهاجمة المسيحيين . وهكذا نرى" كلسوس" و " بورفيريوس " وغيرهما يهاجمون المسيحية فى تعاليمها التى درسوها فى الأناجيل محاولين أن يخطئوها تاريخياً وفلسفياً . ومن ناحية أخرى نرى ديديموس الضرير يكتب كتابه عن " الثالوث " مستشهداً فيه بكثير من آراء الفلاسفة والعلماء والشعراء الوثنيين .

واتهم الوثنيون المسيحيين لدى الحكام باتهامات كثيرة فى تعالميهم وعبادتهم وأخلاقهم ، وأدى هذا الصراع إلى ظهور فئة من العلماء يدافعون عن المسيحية نذكر من بينهم أثنياغورس أحد أساتذة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ، فقد كتب دفاعه إلى مرقس أوريليوس قيصر سنة 176 م .

كذلك حاول أعداء المسيحية أن يؤلفوا كتباً على نسق الأناجيل لها أبطال ، سيرتهم تشبه سيرة السيد المسيح حتى يخلطوا المسيحية بتلك الأساطير الخرافية . ومن ضمن كتب هؤلاء " حياة فيثاغورس " التى ألفها بورفيريوس وهى لا تختلف كثيراً عن حياة أبولونيوس التى كتبها فيلوستراتوس . ورد المسيحيون على كل ذلك معتمدين على التاريخ والعلوم والفلسفة واللاهوت فى ردودهم .

هذا الصراع بين الفلسفة والدين ، أعنى بين العقل والإيمان الذى يسلم بالمعجزات وأمور فوق العقل ، كان من نتائجه ظهور فلسفة الغنوسية ، وفلسفة الأفلاطونية الحديثة .

## الفلسفة الغنوسية :

الغنوسية وتاريخها ومدارسها : الغنوسية معناها " المعرفة " واسمها مأخوذ من الكلمة اليونانية " جنوسس " ، وقد ميز " الغنوسيون " أنفسهم بهذا الإسم عن " المؤمنيين " ، وغالوا فى رفع قيمة المعرفة والحط من قيمة الإيمان . هم وضعوا العقل فوق الإيمان ، والفلسفة فوق الدين ، وجعلوا الفكر الخالص رقيباً على الوحى ، يستطيع أن يرفض منه بعض المعتقدات ، وينكر المعجزات والأشياء الخارقة للطبيعة . واعتقدوا أن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر : روح ونفس وجسد . وقسموا الناس حسب العنصر السائد فيهم إلى ثلاث طبقات :

أ - الروحيين وهم الغنوسيون الذين رفعتهم المعرفة إلى مستوى عال فوق المادة والحس ، ويسودهم العنصر الإلهى .

ب - الجسدانيين وهم العوام الخاضعون لتأثير المادة والحس .

جـ - النفسانيين وهم متوسطون بين الإثنين ، يمكن أن ترفعهم المعرفة إلى درجة الغنوسيين الروحيين ، ويمكن أن تنحدر بهم المادة إلى درجة الجسدانيين .

وهكذا نرى أنهم حسبوا أنفسهم أرستقراطية عقلية قريبة من الله ، وحطموا من قيمة المادة جداً واعتبروها شراً . فسلك بعضهم طريقة تصوفية تحاول السمو عن المادة والحس ، كما انحدر بعضهم إلى الدعارة زاعمين الانتصار على الحس بالإنهماك فيه . وكان الغنوسيون فى مصر من النوع الأول الناسك .

ليس معنى هذا أن الغنوسيين كانوا جميعهم وثنيين ، وإنما كان منهم مسيحيون أيضاً . ولكن هؤلاء نظروا إلى نزعتهم التى اختاروها واعتبروا أنفسهم أشخاصاً روحيين ، على حين اعتبروا باقى المسيحيين نفسانيين فقط غير قادرين على النهوض من الإيمان الأعمى إلى المعرفة الحقيقية ، واعتبروا باقى الناس عاديين أو جسدانيين . ورأوا أن نظرية الفداء فى المسيحية هدفها تخليص الإنسان من المادة والجسد ، وقالوا إن هذا كان هو عمل المسيح الفدائى . ولكن لأن الغنوسية قد اشتملت على عقائد كثيرة تخالف الإيمان المسيحى فقد طردتها الكنيسة من صفوفها ، وابعدت من يؤمنون بتلك العقائد ، واعتبرت الغنوسية بذلك الوضع هرطقة وحاربتها .

ومؤرخو الفلسفة يرجعون الغنوسية إلى أيام تلاميذ السيد المسيح ، ويرون أن سيمون الساحر الذى حرمه بطرس الرسول كان أحد مؤسسيها الأول . على أن الغنوسية لم تظهر فى قوتها إلا منذ القرن الثانى الميلادى ، حين انتشرت فى مصر .

وقد تكونت مدارس كثيرة للغنوسية فى سوريا ومصر وآسيا الصغرى وفى رومه أيضاً وفى بلاد الغال وقرطاجنة ، وانتشرت هذه المدارس على الأخص فى البلاد التى كانت فيها المسيحية على اتصال قريب باليهودية والوثنية . وتفرعت منها فروع تميز كل منها بطابع خاص مثل النيقولاويين والماركونيين والمانيين . ولكن أقوى وضع ظهرت فيه الغنوسية كان على يد فيلسوفها الكبير فالنتينوس

الإسكندرى الذى يقول عنه " شاف " إنه " أسس أكبر مدرسة للغنوسية ، وكانت له فلسفة خاصة ، ولهذا تمثل طريقته أحسن وضع انتشرت فيه الغنوسية " .

فالنتينوس :

هو مؤسس أعمق وأمتع الأنظمة الغنوسية وأكثرها تأثيراً ورواجاً . كان مصرى الجنسية وإسكندرى الثقافة درس الغنوسية ونشرها فى طابع جديد شاعرى له جمال فنى . وبعد أن قضى فترة فى الإسكندرية ذهب إلى رومه حيث قوبل بترحاب كبير . وأسس هناك مدرسة غنوسية واجتمع حوله عدد كبير من تابعيه ، وكان من أوائل الغنوسيين الذين علمّوا فى رومة . وقضى بها حوالى سبعة عشرة سنة ، أو أكثر من ذلك على رأى بعض المؤرخين ، ثم تركها وذهب إلى قبرص حيث أسس مدرسة أخرى للغنوسية لاقت رواجاً كبيراً حتى قال عنه القديس إبيفانوس أنه " كاد يقضى على الإيمان هناك " ، واستمر هناك حتى مات حوالى سنة 160 م . وكان له تلاميذ كثيرون سواء فى إيطاليا أو فى بلاد الشرق ، ومن أشهرهم برديصان وبطليموس وهراكليون وثيودوتس ، وقد نشروا تعاليمه فى صور متنوعة . وقد هاجم تعاليمه كثير من كبار رجال المسيحية فى العالم ، منهم ترتليانوس وأوغسطينوس فى إفريقية ، وإيريناوس فى بلاد الغال ، وإبيفانوس فى قبرس وغيرهم .

الوثائق القبطية :

عثر الباحثون على وثيقة قبطية هامة عن الفلسفة الغنوسية تدعى " حكمة الإيمان " يرجع تاريخها إلى وقت ازدهار فلسفة فالنتينوس فى أواخر القرن الثانى الميلادى أو أوائل الثالث . وتسجل هذه الوثيقة العقائد العامة لنظام فالنتينوس . وموضوعها مقابلة خيالية بين السيد المسيح وتلاميذه حدثهم فيها عن كثير من الموضوعات اللاهوتية ، وأسلوبها شاعرى مؤثر .

كما عثر سنة 1946 فى نجع حمادى على حوالى ألف صفحة مكتوبة بالقبطية على البردى بها 47 رسالة فى الغنوسية . وهى محفوظة الآن فى المتحف القبطى بمصر القديمة . وقد أبدى العلماء اهتماماً شديداً بها لأنهم يتوقعون أن تلقى ضوءاً على هذه الفلسفة ، وأخذوا فى نشرها .

الغنوسيون الأرثوذكس :

إذا كان قد إنضم إلى الغنوسية كثير من الوثنيين واليهود أو من المسيحيين الذين طردتهم الكنيسة واعتبرتهم هراطقة ، فإنه قد إنضم إليها أيضاً جماعة من المسيحيين من كبار معلمى الكنيسة . ولكن هؤلاء لم يؤمنوا بمعتقدات الغنوسية التى حاربتها المسيحية ، وإنما كان لهم رأيهم الخاص فى الغنوسية بمعناها السليم الذى لا

يتعارض مع الدين . وعلى رأس هؤلاء القديس إكليمنضس الإسكندرى أحد مشاهير من تولوا إدارة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية . وقد وضع كتاباً مقسماً إلى ثمانية كتب وسماه " المتنوعات " وعارض فيه الغنوسية الوثنية .. وقال إن الغنوسية الحقيقية يجب أن تبنى على أسس من الإيمان والمعرفة العليا التى هى الحكمة الإلهية . ولم يهاجم الفلسفة كما هاجمها غيره من المسيحيين الذين اعتبروها خطرة على المسيحية ، بل إنه أعلن أن " الفلسفة خادمة اللاهوت " ، وأن الله أعطى الفلسفة لليونان وغيرهم من الأمم لتعدهم للإيمان المسيحى كما كانت الشريعة بالنسبة لليهود . وهكذا اعتبر الفلاسفة " أنبياء الوثنية " . ودعا المسيحيين إلى دراسة الفلسفة ، وأخذ ما فيها من حقائق . ورأى أن الغنوسى الحقيقى يجب أن يتزود بكافة أنواع المعارف لتساعده على الإيمان وتثبته فيه . واعتبر أن جميع المسيحيين الحكماء المتعمقين فى فهم الحق هم الغنوسيون الحقيقيون أو الغنوسيون الأرثوذكس .

وصار هذا المبدأ من أهم أسس التعليم فى المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ، وسار عليه مشاهير مديريها من أمثال : أوريجانوس وديديموس الضرير وغيرهما ، ونشروه بين الجموع التى لا تحصى من تلاميذهم .

ولكن جميع هؤلاء – على عكس فلاسفة الغنوسية الآخرين – قد وضعوا اللاهوت فوق الفلسفة ، والوحى فوق العقل ، ونادوا بعدم تناقض الإثنين .

## الأفلاطونية الحديثة :

وهى فلسفة جديدة ولدت فى الإسكندرية على يد " أمونيوس سقاص " . وقد قدمت للبشرية فكرة إمكان الإتصال المباشر باللاهوت ، وانتشرت انتشاراً عظيماً حتى وصلت إلى جميع العقول من عقل الإمبراطور إلى عقل العبد . وانتشرت بسرعة وسط العامة الذين استطاعوا أن يتفهموها ، وكذلك بين كبار المثقفين فاهتم بدراستها وأعجب بها فلاسفة عظماء مثل القديس أوغسطينوس . وكان لها تأثيرها العميق على كثير من قادة المسيحية .

## أمونيوس سقاص :

ولد من أبوين مسيحيين فى الإسكندرية ، وكان من أسرة فقيرة . ولكنه بعد فترة من الدراسة والتأمل أنشأ مدرسة فلسفية فى الإسكندرية ، نشر فيها تعالميه التى أخذها من دراسة نقدية لأفلاطون وأرسطو حاول فيها أن يوفق بين آراء هذين الفيلسوفين . وليس ممكناً أن نحدد مقدار التأثيرات المسيحية التى اشتملت عليها فلسفة سقاص ، ولكننا نقول أن الفلسفة أخذت على يديه اتجاهاً يختلف عن اتجاهات سابقيه . لأن الأفلاطونية الحديثة لم تكن مجرد فلسفة وإنما كانت أيضاً نظاماً دينياً ، أو كما يقول البعض إنها " حولت الهلينية إلى لاهوت " .

وقد توفى أمونيوس سقاص حوالى سنة 243 م دون أن يخلف لنا كتباً . وإنما استطعنا أن نفهم فلسفته من كتابات تلميذه بلوتينوس ( أفلوطين ) وبورفيريوس خليفة أفلوطين .

ولد أفلوطين فى اسيوط سنة 204 م ودرس الفلسفة فى الإسكندرية لمدة إحدى عشرة سنة على يد أمونيوس سقاص ، ثم ذهب إلى بلاد الفرس ليدرس ديانتهم ، واستقر سنة 245 م فى رومة حيث أنشأ مدرسة للأفلاطونية الحديثة على غرار المدرسة الغنوسية التى أسسها هناك فالنتينوس الإسكندرى . واستمر يدرس فى رومة حتى وفاته سنة 270 م .

وخلفه تلميذه بورفيريوس الذى وضع 54 مؤلفاً شرح فيها تعاليمه ، غير أن بورفيريوس خرج على المسيحية وهاجمها مهاجمة عنيفة . وكان ذا عقلية فلسفية كبيرة وشهرة واسعة . وقد وضع خمسة عشر كتابا ضد المسيحية هاجم فيها كثيراً من تعاليمها . ولا شك أن انتصار قادة الفكر المسيحى على امثال هذا الفيلسوف الخطير كان دليلاً على ما وصل إليه هؤلاء القادة من نبوغ خارق فى الفلسفة والعلم .

وبعد مرسوم ميلان سنة 313 م لم تعد الوثنية هى ديانة الدولة الرسمية ، ولكن الوثنية احتفظت برغم ذلك بنفوذها الثقافى ممثلاً فى الأفلاطونية الحديثة ، التى أصبحت فلسفة العصر ، وانتشرت فى مدارس الإمبراطورية الرومانية .

فأنشأ تلاميذ بورفيريوس مدرسة فى سوريا ، وذهب إلى هناك كثير من طلاب العلم يدرسون على أيديهم الأفلاطونية الحديثة ليحملوها إلى مدارس آسيا الصغرى واليونان وإلى الإسكندرية ذاتها .

واستمر ذلك إلى نهاية القرن الرابع حتى كانت كتب أفلوطين تتداول فى أيدى المثقفين أكثر من محاورات أفلاطون ، ومثل هذا يقال أيضاً عن مؤلفات بورفيريوس .

## 2 – مدرسة الإسكندرية اللاهوتية وأثرها الثقافى

الحاجة إلى إنشاء هذه المدرسة :

انتشرت المسيحية انتشاراً سريعاً وازداد عدد المنضمين إليها ، وكان من الضرورى أن يوضع التعليم المسيحى على أسس منهجية منظمة ، لإعطاء هؤلاء المتحولين إلى المسيحية ما يؤهلهم للمعمودية والإنضمام إلى الكنيسة ، وكذلك لتثقيف المؤمنيين أنفسهم بمبادىء دينهم وتعاليمه ، وتزويد الراغبين منهم بما يريدونه من الدارسات العليا والتعمق فى فهم الفلسفة واللاهوت . وهكذا تأسست مدرسة الإسكندرية للتعليم المسيحى .

ولم تكن هذه الأسباب الإيجابية فقط هى الداعية لإنشائها ، إنما كان هناك سبب آخر لا يقل عنها خطورة . ذلك أن العالم الوثنى كان يقف للمسيحية بالمرصاد

، يحاول بكل قواه وبكافة الطرق العلمية والعقلية والنقدية أن يقضى على هذه الديانة الجديدة ، وهكذا واجهت الكنيسة هجمات فكرية شديدة من فلاسفة الوثنية ورجال السياسة فيها . وكان لابد ان توجد مدرسة عليا تزود الكنيسة بقادة للفكر ، وتقدم للمسيحيين المعرفة الكافية التى تمكنهم من الرد على خصومهم سواء كان ذلك فى مجادلات فردية أو جماعية . وكان غرض المسيحية من هذه المدرسة اللاهوتية هو الرد على الفلاسفة الوثنيين وأتباعهم ، وحماية المؤمنيين مما يثيرونه فيهم من شكوك ، وتبشير أولئك جميعاً بالمسيحية وتعريفهم طريق الحق .

وهكذا تركزت كل تلك الإحتياجات الفكرية فى المدرسة اللاهوتية . وبتطور تلك الإحتياجات وازديادها كانت المدرسة تعدل فى مناهجها وتضيف إليها مواد جديدة لتفى بحاجة العصر . وهكذا كان نمو المدرسة نتيجة لطبيعة الاحتياجات التى واجهتها ، والتى تطورت بها حتى أصبحت معدة لتزويد الطلاب بكل أنواع المعارف الدنيوية والكنسية .

## تاريخ المدرسة وشهرتها :

وتاريخ هذه المدرسة يرجعه يوسابيوس القيصرى والقديس هيرونيموس إلى زمن القديس مرقص الرسول ويقول إنه هو الذى أسسها فى النصف الأخير من القرن الأول الميلادى ، وعهد بإدارتها إلى تيطس الذى صار فيما بعد أسقفاً للإسكندرية . على أن شهرتها ظهرت بوضوح منذ القرن الثانى وأوائل القرن الثالث على أيدى مديريها الفلاسفة المشهورين مثل بنتينوس وإكلمنيضس وأوريجانوس وديونيسيوس . ثم توقف نشاطها قليلاً أو تعطل بعض الشىء فى أواخر القرن الثالث ، إذ شتت الاضطهاد أساتذتها وطلابها ، إلا أنها ما لبثت أن رجعت فى القرن الرابع إلى سالف مجدها على يد مديرها العظيم ديديموس الضرير . واستمرت إلى أوائل القرن الخامس ، ثم سلمت زمام القيادة الفكرية للرهبنة فى الأديرة .

فى الواقع لم تكن مدسة الإسكندرية هى المدرسة اللاهوتية الوحيدة فى العالم المسيحى ، وإنما كانت هناك مدارس مسيحية فى بلاد أخرى . ولكن لم تستطع واحدة منها الوصول إلى مثل سيطرة مدرسة الإسكندرية وتفوقها ، فكانت مدرسة الإسكندرية أهم مدرسة من حيث إمتداد نفوذها فى المسيحية ، يأتى المسيحيون إليها من شتى الأقطار للدراسة على أساتذتها الذين بلغوا درجة كبيرة من الشهرة ، وتخرج على أيديهم أساقفة وبطاركة عظماء لكثير من البلدان المسيحية الهامة . وكان مدير المدرسة يعتبر الثانى بعد البطريرك فى الإسكندرية . وكثيراً ما أختير بطاركة الإسكندرية من بين مديرى هذه المدرسة اللاهوتية . وقد أعطى هذا لبطاركة الإسكندرية مركز الزعامة الفكرية والعلمية فى العالم المسيحى كله ، إذ كان كثير من أساقفة العالم المشهورين تلاميذ لهم تخرجوا على أيديهم أو على أيدى تلاميذهم فى مدرسة الإسكندرية ، وظلوا بعد رسامتهم أساقفة ، على صلة بأساتذتهم الإسكندريين يستشيرونهم فى مشاكلهم . ولذلك لقب بطريرك الإسكندرية بلقب "

قاضى المسيحية فى العالم " . وكانوا يعتبرونه فى المجامع المسكونية حجة ومصدراًً للتعليم الصحيح .

مشاهير أساتذتها :

قدم إلينا القرن الثانى الميلادى ثلاثة مديرين للمدرسة كانوا فلاسفة وثنيين ، تعمقوا فى الفلسفة اليونانية ثم درسوا المسيحية ليتفهموها أو ليفندوها ، غير أنهم ما لبثوا أن آمنوا بها ودافعوا عنها ، وتطوروا حتى صاروا مديرين لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية ، وهم أثيناغوراس ( سنة 176م ) ، وبنتينوس ( سنة 181 م ) ، وإكلمنيضس ( سنة 190 م ) ، وقد ظل أثيناغوراس يرتدى زى الفلاسفة وهو مدير للمدرسة المسيحية .

وخلفه تلميذه بنتينوس الذى نجح نجاحاً كبيراً فى إدارة المدرسة ، فبدأ الراغبون فى العلم والدين يقصدونها من كافة أنحاء العالم : وكان ممن إستمعوا إليه تجار من الهند فأعجبوا به جداً واعتنقوا المسيحية بحماسة عظيمة ولم يكتفوا بذلك بل حركتهم غيرتهم الدينية على خلاص مواطنيهم أن يرسلوا – بعد رجوعهم إلى بلادهم – وفداً إلى البابا الإسكندرى ديمتريوس يلتمسون منه أن يسمح بإرسال القديس بنتينوس إلى بلادهم لتبشيرها بالمسيحية ، فأوفده فى بعثة إلى هناك سنة 190 م فترك المدرسة فى يدى تلميذه إكليمنضس وذهب فى رحلته الموفقة هناك . وفى رجوعه من الهند عرج فى زيارة تبشيرية على الحبشة وبلاد العرب .

ويرجع إليه الفضل فى تقديم أقدم ترجمة قبطية للكتاب المقدس ترجمها بمساعدة تلميذه إكليمنضس الذى عاونه فى إدارة المدرسة وخلفه فيها .

إكليمنضس الإسكندرى :

وهو واضع السياسة التعليمية الجريئة التى سارت عليها مدرسة الإسكندرية المسيحية فى كافة عصورها . وكان قبل تحوله إلى المسيحية فيلسوفاً وثنياً ، درس فلسفة اليونان ثم جال يطلب العلم فى بلاد اليونان وإيطاليا وفلسطين ومصر وبلاد الشرق الأدنى ، غير أنه لم يجد معلماً خيراً من أستاذه بنتينوس . وقد نبغ مثل معلمه فى كافة العلوم الدينية والكنيسة . وتظهر معارفه الواسعة فى مؤلفاته ، وفى الطابع الجديد الذى اتخذته على يديه مدرسة الإسكندرية وحدد فيه العلاقة بين الفلسفة والدين ، كما فتح الباب أمام تلاميذه لجميع أنواع المعرفة . وقد وضع كتباً كثيرة لها أهميتها الدينية والعقلية . ومن أشهر كتبه الفلسفية كتاب " المتنوعات " ألفه ليعارض به الغنوسية المنحرفة ، ووضع فيه الأسس التى ينبغى أن يسير عليها الغنوسى الحقيقى أو الفيلسوف المسيحى . ولما ثار اضطهاد الإمبراطور سبتيموس ساويرس هجر الإسكندرية سنة 202 م تاركاً المدرسة فى يدى تلميذه العلامة أوريجانوس ، الذى فاقه شهرة وعلماً .

أوريجانوس :

لم تعرف المسيحية فيلسوفاً نابغاً مثل أوريجانوس . فهو أشهرعقلية مسيحية فى مصر وفى العالم المسيحى كله طوال عصوره المتتابعة . وقد سار فى قيادة مدرسة الإسكندرية على سياسة أستاذه إكليمنضس .

ولد حوالى سنة 185 م وكان له ذكاء خارق للعادة ، وقدرة عجيبة على الاستذكار ، وصبر على الدرس والإطلاع . واستطاع فى سن مبكرة أن يستوعب قدراً ضخماً من المعلومات فألم بالفلسفة والمنطق والهندسة والرياضيات والموسيقى والبلاغة ، وجمع بين معلومات المدرستين المسيحية والوثنية ، فدرس على القديس إكليمنضس الإسكندرى ، كما درس على أمونيوس سقاص ، مؤسس الأفلاطونية الحديثة . وفى سنة 202 وهو فى السابعة عشرة من عمره ، سيق والده إلى الاستشهاد فى أيام الاضطهاد الذى أثاره سبتيموس ساويرس . فبينما جزعت والدته أرسل هو إلى والده يشجعه ويقول له " لا تتراجع ولا تضعف بسببنا " .

وتحت ضغط الاضطهاد اضطر القديس إكليمنضس إلى ترك الإسكندرية ، فعهد البطريرك ديمتريوس بإدارة المدرسة اللاهوتية إلى أوريجانوس و هو بعد فى الثامنة عشرة . وكان هذا إعترافاً منه بما وصل إليه هذا الشاب النابغ من عبقرية فذة . وقد نجح أوريجانوس نجاحاً كبيراً فى عمله فى التدريس بل صار أعظم أستاذ عرفته الدراسات المسيحية .

وتوافد عليه طلاب العلم من كافة الأقطار ، وتخرج على يديه أساقفة وبطاركة وقادة للشعوب ، كما درس عليه فلاسفة وثنيون وهراطقة وأستطاع ان يجذب كثيرين منهم إلى الإيمان . وكان قدوة فى الفضيلة والنسك حتى أنه لم يذق الخمر ولا اللحم فى حياته ، ولم يكن له غير ثوب واحد . وقال عنه يوسابيوس " أنه كان مثالاً فى الأعمال للفيلسوف الحقيقى : كما يتكلم ، هكذا أعماله ، وكما هى أعماله ، هكذا يتكلم " .

ولم ينثن عن التعليم مع عنف الاضطهاد ، وكان هذا الاضطهاد لا يجعل التعليم صعباً فحسب بل كان يجعله خطراً أيضاً . ولم يكن للمدرسة بناء خاص فكان التلاميذ يقطنون حول مسكن أوريجانوس أو يأتون إليه لتلقى العلم . وقد اشتد الاضطهاد على أوريجانوس لدرجة أنه لم يوجد فى المدينة كلها أى مكان له وإنما انتقل من منزل إلى آخر وكان يطرد من كل مكان يعلم فيه نتيجة للأعداد الوفيرة التى كانت تؤمن على يديه .

وكان فى أثناء الاضطهاد يزور تلاميذه فى السجن ويصطحبهم إلى حيث المحاكمة ويتبعهم إلى مكان الاستشهاد ، لا يبالى أن يكون معهم تحت سمع وبصر جلاديهم ، يقبلهم ويشجعهم إلى أن يسلموا الروح ، بل أنه وضع كتاباً فى الحض على الاستشهاد .

أما عن إنتاجه العلمى فهو أضخم إنتاج لمؤلف ، حتى قيل أنه كتب ستة آلاف مؤلف ، وأقل تقدير يجعل مؤلفاته حوالى الألف . وكان يملى على عدد كبير من النساخ ، وقد قال عنه هيرونيموس أنه كان يقرأ أو يملى حتى وهو يأكل . ومن

أشهر الأعمال التى قام بها جمع نسخ الكتاب المقدس وترجماته القديمة ، ومقابلتها ومراجعتها وتصحيح ما احتاج إلى تصحيح . وقد استمر فى هذا المجهود الجبار 28 عاماً ، فوضع " الهكسبلا " أى ذات الأعمدة الستة لأنه قارن بين ست ترجمات للكتاب المقدس جمعها فى أسفاره الكثيرة . كما وضع كتاب " المبادىء " وكتاب " الرد على كلسوس " وتفسيرات عديدة للكتاب المقدس حتى وصفه الكسندر اسقف أورشليم بأنه " أستاذ الأساقفة وأمير مفسرى الكتاب " ورقاه إلى رتبة الكهنوت أثناء مروره بفلسطين فى أحد أسفاره .

وقد استاء من هذا العمل البطريرك ديمتريوس وجمع مجمعاً حرم فيه أوريجانوس ، فترك الإسكندرية وأسس مدرسة فى قيسارية فلسطين على نهج مدرسة الإسكندرية ، وازدحم عليه طلاب العلم هناك . وموضوع حرم أوريجانوس ما يزال حتى يومنا هذا مثار جدل بين اللاهوتيين حول أسبابه ومدى الحق فيه . على أن البطريركين اللذين خلفا ديمتريوس فى كرسى الإسكندرية كانا من تلاميذ أوريجانوس ، ويقال أن أولهما أعفاه من ذلك الحرم .

ويعتبر أوريجانوس أول من أقام علم اللاهوت على أسس منظمة ، وإليه يرجع الفضل فى تبويب عقائد الكنيسة .

ولم يقتصر نشاط أوريجانوس على التعليم والتأليف بل امتد إلى التبشير ، فسافر إلى رومه وإلى بلاد العرب للقضاء على بعض البدع فيهما ، وسافر مرتين إلى أثينا كما ذكر ذلك " هارناك " .

ولما تولى ديكيوس عرش الإمبراطورية الرومانية أثار اضطهاداً شديداً على المسيحيين . ولم ينج أوريجانوس من هذا الاضطهاد بل قبض عليه سنة 250 م وسجن وعذب عذاباً أليماً . ويقول يوسابيوس " يصعب على الكاتب الماهر وصف ما قاساه أوريجانوس وما احتمله فى صبر وارتياح من العذابات المرة والآلام القاسية أثناء هذا الاضطهاد " . ولكنه لم يلن فأخلى سبيله بعد أن تدهورت صحته وكاد يشرف على الموت . ولم يعش بعد ذلك سوى سنتين أو ثلاثاً حتى انتقل من هذا العالم بعد أن ترك فيه شهرة لا تمحى .

## ديديموس الضرير :

أما ديديموس الضرير فقد ولد فى الإسكندرية سنة 313 م فى السنة التى وقف فيها اضطهاد الوثنية للكنيسة . وفى حوالى الرابعة من عمره فقد بصره لمرض أصابه فى عينيه . فبدأ يدرب ذاكرته تدريباً دقيقاً حتى أصبحت تساعده على حفظ كل ما يسمعه . ولما كبر بدأ يعلم نفسه القراءة بحفر الحروف على قطع خشبية يتحسسها بأصابعه ، كما شهد المؤرخ سوزمين بذلك . وهكذا استطاع ديديموس الضرير أن يسبق طريقة برايل بخمسة عشر قرناً . وتمكن من اتقان علوم كثيرة ، فألم بالشعر والبلاغة والفلك والهندسة والحساب ونظريات الفلسفة على تنوعها . كما برع فى العلوم اللاهوتية ودراسة الكتاب المقدس حتى استحق أن يعينه القديس أثناسيوس مدرساً للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية .

وفى ذلك الوقت كانت الحركة الأريوسية على أشدها ، وكان التعليم محفوفاً بالمتاعب بسبب تدخل الحكام المدنيين بآراء ضد الإيمان السليم مما عرض الأساقفة والمعلمين للنفى والإضطهاد . ولكن ديديموس الضرير لم تثنه اضطهادات أباطرة الرومان لبطريركه أثناسيوس الذى نفى عن كرسيه خمس مرات بل وقف يجاهد معه بكل قوته فى سبيل الإيمان ضد الأريوسية التى يناصرها الأباطرة ، كما حارب بقايا الوثنية الممثلة في الأفلاطونية الحديثة وسائر الفلسفات .

وقد كان مهذباً فى نضاله ضد الأريوسية والوثنيين ، إذ كان كل جهده مركزاً فى أن يقنعهم ويحولهم إلى الحق لا أن يهزمهم ، وهكذا تحاشى السباب . وجاءت كل كتاباته موسومة بروح الاعتدال ، ومن أجل ذلك جاء إليه كثير من الهرطقة يلتمسون العلم على يديه – كما حدث لأوريجانوس – واهتدى على يديه كثير من أمثال أوريجانوس إلى الإيمان .

وقد ذاع صيت ديديموس وامتدحه القديس أنطونيوس بقوله " لا يحزنك فقد بصرك إذ نزعت منك أعين جسدية كالتى يمتلكها الفئران والذباب . وأحرى بك أن تبتهج لأن لك أعيناً كالملائكة ترى بها اللاهوت وتدرك نوره " كما امتدحه كثير من قديسى الغرب وكتابه . وكان القديس هيرونيموس يفتخر بأنه تلميذ لديديموس وأنه أتخذه قدوة له فى دراسة الكتاب المقدس كما ترجم له أحد كتبه . وممن تتلمذ على يده روفينوس أيضاً وقد تتلمذ عليه ثمانى سنوات .

وهكذا استطاع ديديموس أن يعيد لمدرسة الإسكندرية المجد الذى كان لها أيام إكليمنضس وأوريجانوس . واستمر فى عمله كمعلم حتى نهاية حياته سنة 398 . وخلف حوالى 48 مؤلفاً قيماً فى اللاهوت والتفسير . وكان سنداً لأثناسيوس وحصناً فكرياً للكنيسة حطم قوة الأريوسية ، وفند كل مغالطاتها العقلية .

### باقى الأساتذة :

يكتب يوسابيوس القيصرى فى منتصف القرن الرابع فيقول " أن المدرسة استمرت إلى أيامنا وسمعنا أنه أدارها رجال أقوياء فى علومهم ، وغيورون على الأمور اللاهوتية " . ويكفى أن الإثنين اللذين خلفا أوريجانوس صارا بطريركين للإسكندرية ، أحدهما القديس ديونسيوس صاحب الصيت الذائع فى المعرفة اللاهوتية ، وثانيهما بيوريوس الذى كان نابغة فى الفلسفة والعلوم اللاهوتية ويقول عنه القديس هيرونيموس أنه " درّس تلاميذه كل أنواع المعرفة بمهارة وكتب مقالات فى شتى العلوم حتى لقب بأوريجانوس الصغير " .

### العلاقة بين المدرستين الوثنية والمسيحية :

كانت المدرسة الوثنية قد بلغت ذروتها فى العلوم والفلسفة فى القرون الأولى للمسيحية ، ولم تكن توجد أية مدرسة فى العالم القديم تعادلها كمركز للدراسات الطبيعية والعلمية فى الطب والتشريح والرياضيات والفلك والجغرافيا وحتى فى

النقد الأدبى . وإذا كانت أثينا قد تميزت بدراسة الفلسفة ووجدت فيها فلسفات كثيرة مستقلة الواحدة عن الأخرى فإن مدرسة الإسكندرية الوثنية درست فيها كل هذه الفلسفات معاً ، تدارسها علماء يمثلون كل فلسفة اجتمعوا معاً فى المكتبة والسرابيوم . بل إن الإسكندرية أنجبت " الأفلاطونية الحديثة " وتزعمت " الغنوسية " ونشرت هاتين الفلسفتين فى أرجاء العالم المثقف . لهذا كله كانت هذه المدرسة الوثنية القوية منافساً خطيراً للمدرسة المسيحية الناشئة التى كانت تمثل أعلى مجهود للمسيحيين فى نزاعهم الفكرى مع الوثنية .

ومع ذلك عاشت المدرستان جنباً إلى جنب ، كل منهما كان لها طابعها الجامعى ، وكانتا كمرآة تعكس الحالة الثقافية فى الإسكندرية وقتذاك . وقد أثرت كل منهما فى الأخرى . مثال ذلك أن أمونيوس سقاص كان فى المكتبة يحمل التعليم الذى تلقاه سابقاً عندما كان مسيحياً ، بل ربما كان اتجاهه نحو الأفلاطونية الحديثة من تأثير المسيحية . ومن ناحية أخرى ، تأثر أوريجانوس بمحاضرات أمونيوس فى المكتبة ، واستمر مثل أثيناغوراس يلبس زى الفلاسفة حتى بعد أن صار أستاذاً فى المدرسة اللاهوتية .

ولكن هدف التعليم فى المدرستين كان مختلفاً ، فتاريخ التدريس فى المدارس الوثنية يدلنا على أن الطلبة كانوا يعدون ويتمرنون ليتبوأوا مناصب الدولة ، بينما لم يكن هذا من أهداف المدرسة المسيحية ، وإن كان خريجوها يصلحون لذلك عن طريق غير مباشر . وبينما كان المهم فى المدرسة الوثنية هو التقدم الثقافى وكان المستوى الأخلاقى للأساتذة منحطاً ، فإن الحياة الفاضلة والأخلاق كانت من أبرز خواص المدرسة المسيحية سواء فى المدرسين أو فى الطلبة . ولعل أهم اختلاف وأوضحه هو أن الفلسفة والعلوم كانت تدرس فى المدرسة الوثنية لمجرد الثقافة بينما كانت تدرس فى المدرسة المسيحية لغرض دينى .

فارق آخر بين المدرستين وهو أن طلبة المدرسة الوثنية كانوا من مستوى ثقافى واجتماعى معين وكانوا ذكوراً ، بينما كان التعليم عاماً فى المدرسة المسيحية يتلقاه السيد والعبد ، الكبير والصغير ، الذكر والأنثى ، بغض النظر عن الدين والجنس والثقافة . وهكذا حطمت المدرسة المسيحية كل الفوارق الاجتماعية ، وفتحت بابها أيضاً للفلاسفة والوثنيين والهراطقة ، وازداد عدد طلبتها ازدياداً كبيراً .

على أن المنافسة الجبارة بين المدرستين كان أثرها الفعال القوى فى نهضة وازدهار العلوم والفلسفة واللاهوت فى تلك القرون الأولى للمسيحية ، فاضطرت المدرسة المسيحية أن تدخل فى برامجها كل المواد التى تدرس فى منافستها الوثنية ، حتى لا يشعر طلبتها بأنه ينقصهم نوع من الثقافة تمتاز به المدرسة الوثنية ، وحتى يستطيعوا الرد على هجمات الفلاسفة والعلماء الوثنيين .

وهكذا أدخلت الفلسفة الوثنية بشتى فروعها فى منهج المدرسة المسيحية على يد القديس أكليمنضس الأسكندرى الذى نادى بأن الفلسفة خادمة للاهوت ، وأن الغنوسى الحقيقى من المسيحيين يجب ان يزود نفسه بكل أنواع المعارف البشرية " آخذاً من كل فرع من فروع الدراسة ما فيه من الحق " . وارتقت دراسة الفلسفة فى

المدرسة المسيحية حتى أن كثيراً من الفلاسفة الوثنيين كانوا يلجأون إلى أوريجانوس يدرسون على يديه الفلسفة الدنيوية واللاهوت .

وأدخل أكليمنضس دراسة الفلسفة فى المدرسة المسيحية ، وأدخل إلى جانبها دراسة اللغات والبلاغة والشعر والمنطق والفنون والموسيقى والعلوم الطبيعية والهندسة والرياضيات والفلك والجغرافيا . كل ذلك وجد له موضعاً فى منهج أكليمنضس ووجدت له علاقة بدراسة اللاهوت . وسار خلفاء أكليمنضس على هذا النهج . وهكذا قال أوريجانوس عن العلوم اليونانية " يجب أن نستخدمها حتى نتمكن من فهم الكتاب المقدس ، لأنه ما دام الفلاسفة قد درجوا على القول بأن الهندسة والموسيقى والشعر والخطابة والفلك كها علوم تؤدى بنا إلى دراسة الفلسفة ، فالفلسفة إذا درست دراسة حقيقية ، تؤدى بنا إلى دراسة المسيحية " .

ولم يكتف أساتذة المدرسة المسيحية بتدريس جميع هذه المعارف فحسب ، وإنما ساعدوا طلبتهم أيضاً على القراءة – تحت إرشادهم – فى كتابات كافة المؤلفين دون أن يمنعوهم من شيء . فكان الطلبة يطوفون بكل أنواع المعارف ويفحصونها ، ولم يرفض الأساتذة فى محاضراتهم مناقشة أى موضوع يسألون فيه .

وأضافوا إلى كل ذلك دراسة الأخلاق وتدريب الطلبة عليها تدريباً عملياً . وكان المدرسون قدوة صالحة لطلبتهم فى الحياة الفاضلة المثالية ، وما حثوهم على فضيلة إلا كانوا قد مارسوها هم أنفسهم قبلاً ونقدوها .

وهكذا كان من نتائج المنافسة بين المدرستين قيام نهضة عملية وفكرية واسعة النطاق ، لا نظير لها فى أى بلد آخر من بلاد العالم المثقف . وأصبحت الإسكندرية بحق عاصمة العالم الثقافية سواء للمسيحيين أو للوثنيين ، وصارت مقصد كل راغب فى الدراسات العليا فى شتى العلوم الدنيوية والدينية .

ولما كانت المعرفة لا تحد فقد كانت مدة الدراسة فى المدرسة المسيحية غير محدودة . فالقديس أغريغوريوس صانع العجائب – بعد أن أكمل دراساته فى الفلسفة واللغة والبلاغة فى أثينا وبيروت – تتلمذ ست سنوات على أوريجانوس ، وكان يشتهى لو أتيح له أن يقضى بقية حياته فى المدرسة .

نجحت المدرسة المسيحية كل هذا النجاح على الرغم من أنه لم يكن لها بناء خاص ولا مكتبة خاصة ، وإنما كان أساتذتها يلقون دروسهم فى منازلهم أو فى قاعات يستأجرونها لهذا الغرض . وكان الطلبة والأساتذة يذهبون إلى مكتبة الإسكندرية العامة للقراءة والاطلاع .

## 3 – الإنتاج العلمى والأدبى والثقافة الشعبية

<u>الإنتاج العلمى :</u>

ورث الأقباط عن أجدادهم الفراعنة براعة فى الطب والتشريح والكيمياء والصيدلة ، والهندسة والفلك . واستمروا على نبوغهم فى هذه العلوم طوال

العصرين اليونانى والرومانى ، حتى أصبحت مدرسة الإسكندرية الوثنية القديمة هى أقوى مدارس العالم فى هذه الدراسات ثم تأسست المدرسة القبطية المسيحية واضطرت أن تدرس هذه المواد أيضاً . ونتج عن كل ذلك نهضة علمية لا مثيل لها ، ونبغ من الأقباط أساتذه تخرج عليهم كثير من علماء العالم القديم .

وظهر فيهم هيروفيلاس مؤسس علم التشريح ، وإيريستسراتوس مؤسس علم وظائف الأعضاء ، وديموكريتوس صاحب نظرية الذرة . كما ظهر العالم الماهر كرنيليوس كلسوس الذى وضع تذكرته الطبية الشهيرة لمنع تلف الأسنان ، وسرابيون الإسكندرى الذى تعمق فى دارسة عقاقير قدماء المصريين ، ولاسيما الكريهة الطعم منها ، وهو الذى قدمها للعصور المتتابعة فظلت مستعملة إلى القرن الثامن عشر .

ووضع القبط فى الإسكندرية غالبية المصطلحات الطبية ، ومنها مثلاً كلمة medicina عقاقير و medicamentus دواء أو سم و apotheca مخزن الدواء ، وأخذ عنهم العالم هذه المصطلحات التى ماتزال مستعملة .

وهذه الشهرة التى نالتها مصر المسيحية فى الطب والصيدلة والكيمياء جذبت إليها العلماء من أقطار العالم للدراسة على أساتذتها . ومن أمثلة ذلك جالينوس العالم المشهور ، الذى ظهر فى القرن الثانى للميلاد والذى تنسب إليه مجموعة العقاقير الجالينوسية المستعملة فى العصور الحديثة ، تتملذ هذا العالم فى الإسكندرية ، وأخذ من جامعتها فلسفته وطبه وصيدلته .

وقد نشط العالم لدراسة المخطوطات القبطية الخاصة بالدراسات الطبية ولمس ما فيها من فائدة . وقد ظهر بحث للأستاذ " تل " فى العقاقير الطبية القبطية يتبين منه مدى تقدم الأقباط فى الصيدلة والكيمياء والطب . كما وضع الأستاذ " دوسن " سنة 1924 م كتاباً عن تاريخ الطب عند الأقباط فى القرون الأولى للمسيحية ، وشرح بالإضافة إلى العقاقير أدوات الجراحة التى كانوا يستخدمونها .

ومن أهم ما وصلنا من المخطوطات الطبية القبطية بردية " شاسيناه " التى تمتاز بعلاج أمراض العيون ومداواة الخراجات وعلاج بعض أمراض النساء والأطفال . وقد وصفت كثيراً من العلاجات لأمراض العيون وبعض القطرات والمساحيق ، منها قطرة قابضة لمنع النزيف . ولا تقل بردية " زينون " أهمية عن بردية شاسيناه . وهذه البرديات ترينا مدى ما وصل إليه صيادلة الأقباط من معرفة بأصول فن صناعة الدواء وتحضير اللصقات ، كما تدل على علمهم الوافر بالتفاعلات الكيميائية المختلفة وبالأخص التى تتم على النار .

ويقول " نيتولتسكى " فى كتابه الطب الشعبى المقارن ، إن كثيراً من العلاجات والمستحضرات العلاجية المعروفة فى أوروبا منذ القرون الوسطى تحمل الطابع المصرى القديم ، كما أن الكثير من هذه الوصفات لا زال مستعملاً فى مصر وفى كثير من بلدان الشرق .

ولم يقتصر نبوغ الأقباط العلمى على الطب والصيدلة والكيمياء وإنما برعوا فى الحساب والرياضة أيضاً . وليس أدل على ذلك من أنهم تولوا الأعمال الحسابية

والمالية والإدارية طوال العصر الإسلامى . بل ظلوا إلى عهد قريب يشغلون غالبية وظائف الدولة فى هذه الميدان .

ولم يقل نبوغهم فى الهندسة وأعمال البناء عن نبوغهم فى الطب والحساب . وتشهد على ذلك الكنائس الفخمة التى بنوها والأديرة ذات الأسوار والحصون الضخمة . وليس أدل على ذلك من آثار " أبامينا " بمريوط ، والديرين الأبيض والأحمر فى منطقة سوهاج ، وغير ذلك من الآثار المعمارية الكثيرة الدينية وغير الدينية . بل إن هذا النبوغ استمر معهم فقد ذكر " الأزرقى " فى كتاب أخبار مكة أن الكعبة طغى عليها قبيل ظهور الإسلام سيل عظيم صدع جدرانها ، فأعادت قريش بناءها مستعينة فى ذلك بنجار قبطى كان يسكن مكة . وأثبتت الأوراق البردية التى عثر عليها فى مصر أن الوليد استعان بالقبط فى بناء مسجد دمشق والمسجد الأقصى ، وقصر أمير المؤمنيين هناك . ويذكر " البلاذرى ، فى فتوح البلدان أن الوليد استعان بالقبط فى إعادة مسجد المدينة .

ولما أعاد عمر بن عبد العزيز بناء الجامع النبوى فى المدينة عهد بذلك إلى معماريين من القبط بنوا فيه أول محراب مجوف فى الإسلام ، وقد أخذوا شكله من حنية الكنيسة . وأثبت العلماء أن قصر المشتى فى شرقى الأردن الذى يرجع بناؤه إلى منتصف القرن الثامن الميلادى قد تأثر فى زخارفه بالزخارف القبطية وفى تخطيطه بتخطيط الديرين الأبيض والأحمر بسوهاج . وتتجلى البراعة الفائقة فى بناء مهندس قبطى هو سعيد ابن كاتب الفرغانى لجامع ابن طولون مستخدماً فى ذلك عمودين فقط بعد أن قال المهندسون لابن طولون إذ ذلك العمل يحتاج إلى ما لا يقل عن 300 عمود . وبين " كريزويل " الأثر القبطى على فن العمارة الإسلامى المتقدم فى مقال له نشره فى مجلة جمعية الآثار القبطية سنة 1939 .

ومن آثارهم فى الفلك حساب الأبقطى الذى وضعه فى القرن الثانى للميلاد الأنبا ديمتريوس بطريرك الإسكندرية . وصار الأقباط هم الذين يعهد إليهم بتحديد الأعياد والأصوام للعالم المسيحى كله . ومثال ذلك أن مجمع نيقية سنة 325 م فوض لبطريرك الإسكندرية تحديد التاريخ المضبوط لعيد القيامة بعد أن تضاربت أقوال علماء المسيحية فى ذلك .

## صناعة الورق :

وجدنا من مخلفات العصر القبطى الكثير من البرديات التى تثبت أنهم أجادوا صناعة سبعة أصناف من الورق للكتابة ، وقد استغل المصرى هذا الورق أحسن استغلال فى تدوين علومه وآدابه منذ أقدم عصور حضارته .

فالمصرى فى كل عصوره – إذا ما تناول الفن أو العلم – أظهر ثباتاً على مصريته ومحافظة على تراثه . وذكر الأستاذ " جوجيه " فى معرض كلامه عن مدرسة الإسكندرية فى مقال له عن عصر الإنتقال فى مصر من اليونانية إلى القبطية ما ترجمته " لقد سعى الإسكندر الأكبر سعيه ليصبغ الروح المصرية بالصبغة الهلينية ، واقتفى البطالمة اثره فى ذلك ، وحاولوا جهدهم أن يستميلوا

المصريين ويضفوا على الفكر المصرى مسحة يونانية بحتة . وقد ثابروا فى هذا السبيل مدة ستة قرون يحاولون فيها الوصول إلى غرضهم . وخيل إليهم أنهم نجحوا فى الوصول إلى هدفهم لما رأوا المصرى وقد شغف بمختلف أنواع الثقافات ، يأخذ منها أينما وجدها ، ويستمتع بالفن حيث يلقاه . ولكن المصرى له قدرة عجيبة على تكييف الفنون وفق مزاجه ، ويستسيغ العلوم بحسب ذوقه وهو – بعد هذا كله – مصرى تأصلت جذوره فى هذه التربة التى ازدهرت فوقها حضارته العريقة .
فالمصرى – مع كل ما يهضمه من علوم وفنون غريبة – فخور بماضيه ، شغوف ببلاده ، فهذا الفخر وهذا الشغف متأصلان فيه إلى حد بعيد الغور ، فهو ثابت فى مصريته بحيث لا يمكن اقتلاعها منه أو تحويله عنها مهما تنوعت المؤثرات " .

نضيف إلى كل هذا أن أقباط مصر وبطاركتها ظلوا عمد التشريع الكنسى طوال القرون الأولى للمسيحية وكانوا يعتبرون حجة فى تنظيم قانون الكنيسة للعالم المسيحى .

## <u>التاريخ الكنسى :</u>

### 1 – تاريخ بطاركة الإسكندرية :

كان لمصر مكانة رفيعة بين دول العالم فى نواحى الحياة كلها مجتمعة إبان عهود الفراعنة . وكانت المعبودات المصرية فى دلالتها تنم عن فكر سام رفيع . إذا قيست بمعبودات الشعوب الأخرى . بل استعارت البلاد الأخرى أحياناً المعبودات المصرية لعبادتها .

فلما دخلت المسيحية مصر وانتشرت بها ، غدا للكنيسة المصرية نفس المركز الدينى الرفيع بين كنائس العالم ، وساعد على ذلك ما عرف عن علماء مصر من تعمق فى معارفهم وعلومهم . ولما أخذ الجدل الدينى يشتد ابتداء من مطلع القرن الرابع الميلادى ، عقدت المجامع العالمية ( المسكونية ) بدعوة من أباطرة الدولة البيزنطية . وكانت رئاسة تلك المجامع – التى حضرها أساقفة مندوبون عن كنائس العالم المسيحى كله – تسند فى أغلب الأحيان إلى بطاركة الكنيسة المصرية .

هكذا كان لبطاركة الكنيسة المصرية مركز سام فى العالم أجمع ، وكان الأباطرة المسيحيون يجلونهم ويلتمسون بركتهم ويقيمون لهم وزناً ، لأنهم كانوا زعماء يمثلون قوة شعبية جبارة . طالما أقضت مضاجع أولئك الأباطرة .

ومن ثم كان التأريخ لهؤلاء البطاركة – الزعماء الشعبيين – أمراً هاماً للغاية . قد اشتركوا فى الحوادث السياسية التى دارت والتى كان لها طابع دينى على الأغلب ، فقد يحدث أحياناً أن يعتنق الأمبراطور الرومانى مذهباً دينياً معيناً فى نطاق المسيحية ، ويريد أن يرغم رعيته فى أنحاء إمبراطوريته على اعتناق مذهبه حتى يضمن بذلك التجانس بين شعوب الإمبراطورية تبعاً لوحدة المعتقد ، فيسبب هذا بين الشعب والحاكم الصدام والحروب والثورات ، وكان البطاركة بحق زعماء

شعبيين فى تلك الأوقات العصيبة ، قادوا الشعب ولم يعبأوا بالحديد والنار . واضطروا أولئك الأباطرة أن يحنوا الرؤوس لهم إجلالاً واحتراماً ، فأرخ الناس لهم ولعصرهم ، حتى لتستطيع أن تلم بالكثير من التقاليد والعادات المصرية ، بل وبنواحى الحياة المختلفة من مجموع هذه التراجم التى تظهر لنا روح العصر الذى عاش فيه هؤلاء البطاركة .

المصادر التاريخية لسير البطاركة :

عرض مؤرخون كثيرون لسير بطاركة الكنيسة المصرية ولعل من أشهرهم :

( أ ) يوحنا النقيوسي

فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى ، كتب تاريخاً يبدأ بخلق العالم إلى ما بعد الفتح العربى لمصر بزمن يسير . ويحوى تاريخه أخباراً متصلة عن الآباء البطاركة من مرقس الرسولى الذى بشر بالمسيحية فى مصر فى القرن الأول إلى البابا بنيامين البطريرك الذى عاصر الفتح العربى .

( ب ) ساويرس بن المقفع :

أسقف الأشمونين ( مركز ملوى ) عاش فى النصف الأخير من القرن العاشر وأوائل الحادى عشر وعاصر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله . وضع كتاباً أسماه " تاريخ البطاركة " ويعتبر تاريخه أهم مرجع بين هذه التواريخ جميعها . وذلك نظراً لما امتاز به هذا الأسقف من العلم الغزير وتمكنه من اللغات القبطية واليونانية والعربية : بل لعله أول كاتب صنف مؤلفاته باللغة العربية من بين الأقباط . وقد جمع تاريخه من عدة مصادر قديمة عثر عليها فى الأديرة أو عن مصادر نقلت عنها وقد أرخ ساويرس للبطاركة من مرقس الرسول إلى البطريرك يوساب الأول ( 830 – 849 ) . وقد ذكر ساويرس أنه ترجم هذه السير إلى العربية من مخطوطات قبطية ويونانية ترجع إلى عصر المؤرخ له أو بعده بقليل ، ومما يجدر ذكره أن معظم هذه الأصول قد خرج من مصر ، وهى موجودة الآن فى المكتبات الكبرى فى العالم ، ويقوم العلماء بنشرها تدريجياً .

والكتاب بوضعه الراهن يعتبر موسوعة تاريخية عن خصائص العصر الذى عاش فيه البطاركة أصحاب الترجمات . وقد نقل المقريزى عن هذا الكتاب جانباً كبيراً مما سجله فى كتابه " الخطط " كما أخذ عنه أيضاً القلقشندى فى كتابه " صبح الأعشى " .

وقد ترجمه " إيفتس " ونشره بالعربية مع ترجمة إلى الإنجليزية فى مجموعة الآباء الشرقيين .

( جـ ) الأنبا ميخائيل أسقف تنيس :

عاصر الأنبا ساويرس بعض الوقت وزامله فى جمع تواريخ البطاركة من الأديرة . وأرخ للبطاركة من خائيل الثالث ( 880 - 907 م ) إلى سانوثيوس ( 1032 – 1046 ) .

( د ) الأنبا يوساب أسقف فوة :

من رجال القرن الثالث عشر الميلادى . وقد قام بجمع سير البطاركة ووضع سير معاصريه .

وقد أكمل تاريخ بطاركة الكينسة المصرية حتى عصرنا الحاضر على يد علماء كثيرين من مصر وغيرها .

وتعتبر تواريخ البطاركة حلقة هامة فى تاريخ مصر العام .

2 – السنكسار :

وهو الكتاب الذى يضم سير الآباء القديسين . ويحوى قصصاً دينياً يصور لنا النواحى الإجتماعية فى العصر الذى عاش فيه الآباء أصحاب التراجم . فهو بذلك يكمل التاريخ ويساعد على فهمه . وقد نشره " باسيه " بالعربية مع ترجمة فرنسية ، ثم نشره " أوليرى " مرتباً بحسب الحروف الهجائية .

وثمة كتب أخرى تكمل السنكسار وتفسره . وأشهر من دونوا سير الآباء " بلاديوس " الذى كتب سير الرهبان المصريين ، وأثناسيوس الرسولى بطريرك الإسكندرية فى القرن الرابع ، الذى كتب سيرة القديس أنطونيوس ، والقديس " جيروم " . وجيروم هو الذى دون بدوره سير القديسين والشهداء المصريين . وقد نشرها فى مجلدين العلامة " بدج " ، كما وضع القديس يوحنا كاسيان ( القرن الرابع ) عدة كتب ضمنها بعض سير الرهبان المصريين نشرها " لوشانوان " بعد ترجمتها إلى الفرنسية ، كما نشرت ترجمة إلى الإنجليزية فى المجلد الحادى عشر من موسوعة " آباء نيقية وما بعد نيقية " .

3 – تاريخ المجامع :

أرخ الأقباط – بطابعهم القبطى الخاص – للمجامع المحلية والعالمية ، مما كان له أكبر الأثر فى المحافظة على هذا التاريخ .

[ أ ] المجامع المحلية :

وكانت تعقد فى مدينة الإسكندرية برئاسة البطريرك ، للنظر فيما يهم الكنيسة بوجه عام وحل المسائل المختلفة التى كانت تطرأ .

[ ب ] المجامع العالمية ( المسكونية ) :

وكانت تعقد فى القسطنطينية أو فى مدينة تتوسط أنحاء الإمبراطورية . وكان الإمبراطور البيزنطى هو الذى يدعو لانعقادها للنظر فى البدع الدينية التى تظهر فى إقليم من أقاليم الدولة . وكان أعضاؤها مندوبين يمثلون جميع الكنائس فى العالم المسيحى . وعلى المجمع أن يتخذ القرارات التى تدحض تلك البدع من جهة وتقوى الإيمان من جهة أخرى . وقد شغلت الخلافات المذهبية حيزاً كبيراً فى تاريخ الدولة البيزنطية أنهكت قوتها ومزقت أوصالها . ولذلك تؤلف تلك المجامع فصولاً رئيسية فى تاريخ الدولة البيزنطية .

وفى التاريخ العام كان للأقباط إنتاجهم الكبير الملحوظ فيما وضعوه من مؤلفات عديدة بالنسبة إلى التاريخ الكنسى ، وكذلك بالنسبة إلى التاريخ المدنى . ومن أشهر الكتب التى ألفت فى هذا المضمار الكتاب الذى أرخ فيه يوحنا النقيوسى للعالم من بدء الخليقة إلى الفتح الإسلامى . ويعتبر الجزء الأخير منه هو المصدر الأول لتاريخ فتح العرب لمصر .

يوحنا النقيوسى :

كان معاصراً لفتح العرب لمصر . كان فى بدء حياته راهباً عرف بالتقوى وكثرة العلم وحسن السيرة ، فرسم أسقفاً على نقيوس ( ومكانها الآن قرية بشادى بمحافظة المنوفية ) ، ثم رقى رئيساً لأساقفة الوجه البحرى ، ثم عين فى شيخوخته سنة 694 م مدبراً لأديرة وادى النطرون . وعلى الرغم من علمه وتقواه وخدمته للكنيسة ، فقد حكم الأساقفة بوقفه عن مباشرة عمله الكهنوتى بسبب عنفه الشديد فى تأديب راهب على خطيئة ارتكبها .

وقد خلف لنا كتاباً هاماً أرخ فيه من بدء الخليقة إلى ما بعد دخول العرب مصر بقليل . وكتابه مقسم إلى 22 باباً . الأحد عشر الأخيرة منها خاصة بالفتح العربى حيث تكلم عنه بتفصيل وإسهاب . ويعتبر الكتاب هو المرجع الأول والأصيل فى هذا الموضوع لأن كاتبه سجل ما رآه عياناً بنفسه .

وقد وضع هذا الكتاب باللغة القبطية ثم ترجم إلى العربية والحبشية وربما إلى اليونانية أيضاً . ولكن لم يصل إلينا غير الترجمة الحبشية .

ويدل الكتاب على ما وصل إليه يوحنا النقيوسى من علم غزير وتعمق فى البحث واعتماد على المراجع الأصلية القديمة ، كما تظهر فيه الحرية التى توخاها الكاتب فى سرد التاريخ .

وليس صحيحاً ما ذكره زوتنبرج الذى نشر تاريخه من أن الكتاب وضعت غالبيته باليونانية على حين وضعت الأخبار المحلية بالقبطية .

1 – لأنه من المستبعد على كاتب قبطى متمسك بقوميته أن يكتب لمواطنيه تاريخ العالم بلغة مضطهديهم الروم .
2 – كانت اللغة اليونانية قد أخذت فى الإنقراض من مصر منذ القرن الخامس على يد الأنبا شنوده .
3 – صيغة أسماء الأعلام فى النص الحبشى تدل على إنها أخذت عن أصل قبطى .

وقد ظل الأقباط يحملون لواء العلوم إلى ما بعد دخول العرب مصر بقرنين . وظهر فيهم كيرلس وكولوتس ويؤانس . وعرف فى القرن السادس يوحنا فيليبونوس النحوى الذى ألف فى الأدب والطب والرياضة . ومن المعروف أنه منذ القرن السادس كان رجال الدين من الأقباط يتولون تدريس العلوم فى المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ، ونذكر من بينهم سرجيوس وهارون القس .

وقد ورثت الدولة الإسلامية فيما بعد كثيراً من هذا التراث العلمى فى حركة الترجمة التى قامت بها . فقد أمر خالد بن يزيد بن معاوية بأن ينقل إلى العربية كثير من الكتب اليونانية والقبطية التى تناولت البحث فى صناعة الكيمياء العملية . وتبعه فى هذا المضمار كثير من خلفاء وولاة المسلمين ، وكان استقرار الخلافة فى بغداد وازدهار العلوم فيها باعثاً على انتقال العلماء من مصر إلى الشرق ، ويقول " المسعودى " فى مروج الذهب أن مجلس التعليم ( الجامعة ) نقل من الإسكندرية فى أيام عمر بن عبد العزيز إلى أنطاكية ، ثم نقله المتوكل إلى حران .

# الإنتاج الأدبى والثقافة الشعبية

المخلفات الأدبية المؤلفة بالنثر : وتشمل فروعاً كثيرة أهمها :

<u>1 – ترجمة الكتاب المقدس :</u>

وهى فى الدرجة الأولى من أدبيات اللغة القبطية . وقد أخذت هذه الترجمة عن اليونانية منذ القرن الثانى ، وتعتبر من أدق الترجمات لأن الذين قاموا بها كانوا ملمين إلماماً تاماً باللغتين . وقد كانت الحماسة الدينية بالغة حتى أنه لم يحل القرن الرابع أو الخامس إلا وكان الكتاب كله مترجماً إلى اللهجتين البحيرية والصعيدية وبعض أجزء منه إلى اللهجتين الأخميمية والفيومية .

<u>2 – أقوال الآباء :</u>

وهذه اشتملت على فروع كثيرة منها : الأقوال النسكية التى كتبها آباء الرهبنة أو سمعت عنهم فسجلت . وكلها تحض على النسك والتجرد من العالميات وعلى الترويض على الفضيلة وتنقية النفس . ومن أمثلتها الرسائل العشرون التى أرسلها القديس أنطونيوس إلى تلاميذه ، والأنظمة التى وضعها القديس باخوميوس لتنظيم حياة الرهبان ، وما خلفّه القديس يوحنا التبايسى من ميامر ( مواعظ ) عميقة

فى الحياة الروحية ، وكذلك تشمل المواعظ والخطب الدينية التى كانت تلقى فى أيام الآحاد أو الأعياد أو بعض المناسبات الأخرى ، ومن أشهرها خطب الأنبا شنوده فى أثناء كفاحه ضد الوثنية وفى نشره لتعاليم المسيحية ، وإليك مثل فى موعظة للأنبا شنوده ( القرن الرابع ) .

" زعموا أن بعض الشهداء ظهروا لبعض الناس وكشفوا لهم عن الأماكن التى دفنت فيها عظامهم ، وعند البحث وجدوا أنها بقايا كلاب . وزعموا أيضاً أن بعض المبانى والتوابيت التى كان يكشف عنها خلال أعمال البناء أو الهدم كان بها ما يدل على أنها تضم أجساد الشهداء . إنما هى الشياطين التى كانت تظهر لهؤلاء الناس فى أحلامهم فى ثياب الشهداء ، وبذلك كانت تبنى لهم هياكل فى الكنائس ، وليس لمثل هذه الهياكل من أثر إلا أنها تفقد الهياكل الحقيقية قيمتها .

وأنها إذن لمجازفة عظيمة أن تبنى الهياكل على عظام لا يعرف كنهها أو مصدرها . وعلى كل حال ليس هناك فى الأناجيل أية إشارة تدعونا إلى بناء الهياكل ، حتى فوق الرفات الحقيقية للشهداء أو الرسل .

ثم قال : إن آبائنا الذين رقدوا فى أيامنا – كما أعلم وأشهد – يوصوننا أن لا ندع إنساناً يبحث عن أجسادهم ، ويجب أن يصبح المرء قطعة من الطين ممزوجة بالتبن تدوسها الأقدام " .

ومع أن الآباء كانو قلما يكتبون ، أكتفاء بتحقيق الهدف العملى وهو التسامى فى ممارسة الفضيلة ، إلا أن ما وصلنا منهم كثير فى قدره وفى قيمته .

## 3 – سير القديسين :

وهى كثيرة جداً تزخر بوصف حياة وجهاد الشهداء والرهبان والمتوحدين والنساك وبعض الآباء البطاركة والأساقفة . ولم تكن هذه السير مجرد تاريخ جاف ، وإنما كانت موضوعة فى أسلوب أدبى عميق بالغ الأثر حتى كان من نتائجها إقبال كثيرين على الرهبنة وعلى السير فى الحياة الفضلى . وهى فى الواقع تجسيم لفضائل معينة يمثلها هؤلاء القديسون الذين كتبت سيرهم مع لون من الإيحاء فى الكتابة .

## 4 – القصص :

وبعضه دينى فيه خيال وتصور مثل قصة ملكة سبأ ومقابلتها لسليمان الحكيم أو قصة الملك يوحنا ورئيس الدير . والبعض وطنى نفّس به الأقباط عن شعورهم القومى الذى ظل مكبوتاً فترات طويلة تحت نير المستعمر .

وليس الأدب القبطى أدب دينى فحسب بل أن الآثار الأدبية الدنيوية فى الأدب القبطى لا تقل روعة عن الآثار الدينية .

وقد وصلتنا بعض آداب دنيوية بالرغم من انصراف القبط فى العصور الأولى عن تدوينها لغلاء ورق البردى أو الرق وقصرهم التدوين على أدب الدين تقريباً .

فقد عثرنا على الكثير من الرسائل والوثائق بالقبطية استقينا منها أغلب معلوماتنا عن الحياة فى الأديرة ومدى نشاطها .

وازدهر الأدب القبطى فى القرنين الرابع والخامس ثم كبا من أثر الاضطهادات . وكان فتح العرب لمصر صدمة عنيفة للأدب القبطى إلا أنه صحا صحوة كتلك التى تعقب تجرع السم . ففى النصف الأخير من القرن السابع وفى القرن الثامن قامت بين القبط نهضة أدبية ثانية كان لها طابع الشعبية والدنيوية أكثر من النهضة الأولى وربما يرجع ذلك إلى أن نظام الأديرة وقتئذ كان أقل صرامة بحيث أتيح للرهبان الإشتغال بشتى الحرف . وإذا كانوا قد أصبحوا يقرأون الكتب الدنيوية فى الأديرة فما الذى يمنعهم من كتابتها وبخاصة أن الورق قد حل محل ورق البردى وأصبح فى متناول الجميع .

وكتب ذلك الأدب الجديد باللهجة الصعيدية ، وكان به أشعار وروايات وبالرغم من ذلك فقد وصلنا منه النذر اليسير ، ونشير إلى بعض هذا الأدب الدنيوى ، فقصة ثيودوسيوس وديونسيوس التى ترجع إلى أوائل القرن الثامن بطلها صانع مصرى ، وفق إلى بلوغ منصب إمبراطور اليونان . وقد نسى زميلاً له كان صانعاً مصرياً ، ثم يلقاه ثانية ويعينه رئيساً لأساقفة العاصمة اليونانية .

وكذلك وجدنا بعض أجزاء لقصة الإسكندر مترجمة إلى الصعيدية وربما أوحت هذه القصة إلى كاتب قبطى بكتابة رواية قمبيز .

ورواية قمبيز قصة أصيلة بالقبطية تتضمن تاريخاً خيالياً بحتاً عن غزو مصر على يد قمبيز الذى كان ملكاً على الفرس ، وتبدأ القصة برسالة يكتبها قمبيز إلى الشعب الذى يسكن مصر طالباً إليهم الطاعة يقول :

أنا قمبيز ، لم أكتب إليكم لإرغامكم ، ولكنى أود زيارتكم ، لاحرج عليكم إذا أردتم الحضور ، بل تعالوا إلى ، أنا الذى سيمنحكم أمجاداً أكثر مما تتمتعون به الآن . وربما حدثتكم نفسكم بعدم الخضوع لى ، فحينئذ تكونون قد وضعتم ثقتكم فى هؤلاء الناس السائرين إلى الدمار وهم ملوك مصر وعشائرهم المتنقلة – إنهم سوف لا يقدرون على تخليصكم من قواتى وآلاتى الحربية . وطالما كانت لى تلك القوة فلن يستطيع أحد أن ينقذكم من غضبى .

ثم يستطرد على اعتبار أنهم سيرفضون الخضوع ويردف : انظروا أنا قمبيز أكتب إليكم هكذا الآن ، كونوا مستعدين لملاقاة جام الغضب الذى سينصب على رؤوسكم جزاء عصيانكم لى ، إننى سيد الأرض كلها وما أكتبه سيعود عليكم بالويلات حين اقتص من مصر . فلما سمعوا ذلك وعلموا أن قمبيز قادم إليهم اشتد حنقهم وثبتت عزيمتهم وتشاوروا فيما يفعلون ، ثم استقر رأيهم على رفض طلب قمبيز بالخضوع للفرس .

ولما سمع الجند بهذا الحديث أرادوا أن يذبحوا الرسل . وكان بين الجند شخص يدعى يوشهور ، وكان رجلاً ذكياً فى نصحه ، حكيماً فى حديثه كما كان

قوى الشكيمة ومغواراً فى الطعن والنزال مما أهله لإسداء النصح إليهم ، بأن يصرفوا الرسل ويبعثوا برسالة تهديد إلى قمبيز هذا نصها : يكتب هذا جميع المصريين إلى أولئك الذين يقطنون أقاليم الغرب والذين يعيشون فى الهند ، نكتب إليك أيها الجبان الرعديد قمبيز ، الذى أسمه فى لغتنا " سانوت " وتفسيره الجبان . ألا فانظر ، لقد تركنا رسلك تذهب بسلام لا خوفاً منك بل إفتخاراً وتعظيماً لسيدنا فرعون الذى يحكمنا بمجد عظيم . لقد تركناهم وشأنهم ولم نذبحهم ، ولكن إذا أثرتم سخطنا فلسوف تعلمون ما نحن فاعلون . فبحق قوة فرعون ومجد مصر والإله هابى وشرف التاج وبطش صناديدنا واحتشاد جيشنا فى القتال ، فما دام الإله هابى فى منف ، وآمون فى تفناس ، وما دام ملوكنا يعيشون كل فى مملكته وما دامت الأنهار تفيض بمياهها ،وما دامت مدننا موطدة الدعائم ، وما دام كل ذلك قائماً ، فلسوف تعلم أيها العبد ما سيحل بك . ماذا أنت فاعل حيال ذلك ، سنوردك موارد التهلكة لو لحقنا بك ، فأولاً سنخرج أمعائك من بطنك ونذبح أولادك أمام عينيك ، وسنلقى بأتباعك الظالمين خارجاً ، وسنحرق آلهتك المرافقين لك ، وأما أنت فلن نضيع الوقت فى طهى قطع من لحمك ، بل سنمزقه بأسناننا كما تفعل الديبة والسباع الضارية . والآن أيها التعس ، تدبر أمرك وأرعو، وفكر ملياً فيما أنت مقدم عليه قبل أن ينصب عليك غضب مصر . فمن من الملوك – ليس بين الأشوريين فقط بل بين ملوك العالم أجمع – تعالى على مصر بعد التغلب عليها ؟ فهل تطمع أنت فى التغلب عليها أيها المخلوق الدنس ؟ ألا امتثلت بالملوك الجاليين والحيثيين ، وأولئك الذين يقطنون الأقاليم الغربية والأقاليم الباردة ، أليسوا جميعاً على جانب عظيم من القوة والجاه ؟ فلماذا لم ينجوا ببلادهم من قبضة مصر عندما تعاظموا لكى لا يصيروا عبيداً لنا ؟ يا لسخرية القدر أن تهاجم أنت مصر ، فسيلحق بك العار على أيدى جحافل مصر ؟ من هو إلهك الذى يرافقك والذى سينجيك بقوته وعليه تعتمد ليحرسك حتى تجترىء على الحضور هنا ؟ أو بحقك لعلك تعتمد على الأمونيين والمؤابيين والأدوميين ، أولئك الذين ترتعد فرائصهم قبل أن يروا حرباً ؟ أولئك الذين لم ينعموا بالسيادة قط ، بل كتب عليهم أن يظلوا دائماً أرقاء .

ولما عاد الرسل وسلموا رسالة المصريين طلب قمبيز مشيريه فأشار عليه أحدهم : أيها الملك فلتعش إلى الأبد استمع إلى نصيحة عبدك : لا تهاجمهم ولا تلتق بهم وجهاً لوجه وإنما يجدر بك أن ترسل رسلاً إلى جميع أنحاء مصر باسم فرعون وهابى إلههم بكلمات معسولة يناشدون بها الشعب أن يجتمعوا فى عيد ووليمة ملكية دون سلاح حتى تنتفى من نفوسهم فكرة الحرب . فإذا ما اجتمع شملهم ، فسيرى سيدهم أن سيداً آخر قد صار بيده الأمر فيستولى عليه الجزع وتخضع لك البلاد . ثم يتابع نصائحه مبيناً صفات المصريين الحربية ، وكيف أن نساءهم ماهرات فى الرماية وأطفالهم يشبون من الصغر على تعلم فنون الحرب . وإذ يجد هذا الكلام قبولاً لدى قمبيز فأنه يوفد رسلاً إلى جميع أنحاء مصر ينادون باسم فرعون مصر وخفرع : سلام كثير لكم ولتكونوا فى راحة وطمأنينة إننى أكتب إليكم لا عن الضرائب التى أنتم مدينون بها ولا عن أى شىء آخر من هذا القبيل . أيها المصريون الأخيار ، الأشداء فى قوتكم والحكماء فى كلامكم ، لتتجمعوا فى كل

مدينة ولتأتوا إلىّ بدون سيوف أو حراب ، فأنتم مدعون إلى وليمة حيث السرور والإبتهاج ، لأن الإله هابى هو الذى يطلب تجمعكم حتى تطيب نفوسكم بهذا الإحتفال ، فقد أفضى إلينا بأمور خاصة ستحدث هذا العام ولم أشأ أن أكتب إليكم بشأنها حتى لا تقللوا من أهميتها ، بل فضلت أن تحضروا بأنفسكم إلى هابى كيما يظهر لكم هذه الأمور فى رؤيا ، فلن يتيسر لكم معرفتها إلا إذا ساهمتم فى هذا العيد . ومن امتنع عن الحضور ستصيبه اللعنة والغضب من هابى ، وأما من يلبى ويحضر فستحل نعم الإله عليه وعلى أهل بيته .

وتمضى القصة فتظهر كيف أن المصريين لم ينخدعوا بتلك الحيلة وعرفوا أنها من أعدائهم فيحشدون الجيوش وتأتى الأخبار بأن قمبيز بدأ هجومه على مصر ويبدو أن المصريين كانت تكتنفهم صعاب فى ذلك الوقت .

وهنا ينقطع سياق القصة التى وصلتنا منها نسخة واحدة ناقصة وبها عيوب كثيرة .

ومهما يكن من شيء فالقصة تدل على وطنية رائعة وكبت من الحكام الرومان أو العرب يتنفس منه الكاتب في أسلوب روائى أدبى مستور .

وهناك آثار أدبية كثيرة منها مثلاً القصيدة التى كتبت عن أرخليدس وأمه سنكليتكى على طريقة الحوار ، ولم يصلنا منها إلا بعضها.

ويدل كل هذا على ما للقبط من أثر عميق فى الأدب فى العالم كانت صفحاته مطوية ، وكلما أظهرت لنا الكشوف الحديثة من نصوص ، تكشف لنا هذا الأثر وعرفنا مقدار تغلغله فى الآداب العالمية .

<u>5 – الإصلاح الإجتماعى :</u>

تظهر روح الإصلاح فى خطب الأنبا شنوده التى حارب بها البدع الموجودة فى عصره كالدجل الطبى والسحر وفوضى الموالد وبناء الهياكل على أجساد الشهداء وما إلى ذلك .

<u>6 – أغراض أخرى :</u>

مثل الآداب الكنسية وطقوس العبادة ونصوص أخرى تتعلق بالتاريخ والقوانين والسحر .

<u>النظم :</u>

لم يصل إلينا شعر كتبه الأقباط فى الأغراض الدنيوية المختلفة إذ كان النسك السائد فى تلك العصور الأولى المسيحية يحول دون ذلك . فقد اتجهوا فى المدح إلى

الملائكة والعذراء مريم والأنبياء والقديسين والشهداء فى نظم يعرف بإسم الذكصولوجيات وهى كلمة معناها " تمجيد " ، وقد جمع الكثير منها أوليرى سنة 1924 فى كتابه المسمى " الألحان القبطية " ، أما مدح العذراء مريم فلكثرته اختص به تقريباً باب إسمه الثيئودوكيات . وقد نشر " أوليرى " سنة 1923 كتابه المسمى " الثيئودوكيات القبطية " جمع فيه كثيراً من المقطوعات الشعرية القبطية التى وجدها فى دير القديس مقاريوس والمكتبة الأهلية بباريس والمتحف البريطانى . وقد قال أن هذا النوع من النظم كان مستحباً لدى الشعراء الأقباط استغلوا فيه مواهبهم . كما ذكر " مالون " أن هذه الثيئودوكيات لها مكانة عظمى فى الآداب القبطية .

وقد كان القصص من بين الأغراض التى طرقها الشعراء الأقباط أيضاً . ومن أشهر القصص الشعرية قصة أرشيليدس الراهب الذى رفض مقابلة أمه وفاء لنذر قطعه على نفسه ألا يرى امرأة . وهى قصيدة طويلة جداً على شكل حوار تظهر فيه براعة التمثيل وقوة التأثير ، والقصيدة تمس ناحية حساسة من المشاعر الإنسانية .

ثم هناك الأشعار الكنيسة وهى صلوات أو تأملات مأخوذة من المزامير أو الإنجيل وتسمى إبصاليات ( وهى مأخوذة من الكلمة القبطية بصالموسى بمعنى مزمور ) والبعض الآخر تسمى الهوسات ( وهى مأخوذة من الكلمة القبطية هوس بمعنى تسبيح ) . وقد اختصوا كل يوم بتسبيحة خاصة منظومة وملحنة بلحن خاص ، وتوجد غالبية هذه القطع الشعرية فى كتابين هم الإبصلمودية السنوية والإبصلمودية الكيهكية .

النـدب :

عرف الشعب المصرى منذ أقدم عصوره ندب الميت ، وقد وصلنا من العصر القبطى الكثير من الندب فى نظم نقش أحياناً على الرخام كشواهد للقبور .

وتظهر لنا عادة الندب من قصيدة أرشيليدس وأمه سنكليتكى التى تدعو فيها النساء للندب " أيتها النساء ، يا كافة من أنجبن أبناء ، تجمعن ، وابكين معى " وقد نشرت " ماريا كرامر " كتاباً فيه الكثير من منظومات الندب القبطية .

وكانت موضوعات الشعر تنطوى على كثير من المعانى الأدبية والحكم التى يمكن إرجاعها إلى التأثر بنظائرها فى الأمثال المصرية القديمة وفى أمثال سليمان الحكيم وباقى أدب الحكمة فى العهد القديم . ويرى " ورل " أن القبطى كان يفضل هذا اللون من الأدب منذ العصور الفرعونية وأن تضمين الحكمة فى شعره كان أصيلاً وليس نتيجة لاعتناق المسيحية .

لغة الأدب :

ينقسم الأدب القبطى إلى قسمين :

( أ ) أدب قبطى متأثر بتأثيرات يونانية . وقد ظهر أكثره فى الإسكندرية التى انتشرت فيها الثقافة الهيلينية ، حتى اضطر كثير من الآباء إلى الكتابة باللغة اليونانية المنتشرة فى العالم وقتذاك ، وترجمت كتاباتهم فى مصر إلى القبطية لينتفع بها الأقباط أنفسهم .
( ب ) أدب قبطى صميم كالذى ظهر فى كتابات الأنبا أنطونيوس والأنبا باخوميوس اللذين لم يعرفا غير القبطية ، وخطب ومواعظ الأنبا شنوده الذى لم يشأ أن يكتب بغير القبطية ، كما كان زعيماً شعبياً يكلم الأقباط المضطهدين على يد حكامهم بلغتهم القبطية لا باللغة اليونانية لغة الحكام .

وهذا الأدب القبطى الصميم كان له مركزان : هما وادى النطرون للهجة البحيرية ، والدير الأبيض والأديرة الباخومية بالصعيد للهجة الصعيدية . وهكذا نرى أن أديرة الرهبان كانت معاقل للأدب القبطى الصميم بلهجتيه . وفى بعض المخطوطات القبطية تسمى اللغة القبطية لغة أهل الجبال . ولعل المقصود بذلك الصعيد لارتفاعه وأديرة الرهبان لوجودها فى الجبال . وقد تولى الأنبا شنوده رئاسة الدير الأبيض سنة 383 م الذى أضحى مركزاً للأدب الصعيدى . وفيه أصبحت اللهجة الصعيدية هى اللغة الأدبية للكنيسة القبطية فى أزهى عصورها .

وأمام هذه النهضة الأدبية التى تزعمها الأنبا شنوده ، أخذت اليونانية تتقهقر وتتراجع بمقدار النمو المطرد الذى انتشرت به المسيحية بين الريفيين ، وبعدول الناس إلى إستخدام اللغة القبطية كلغة أدبية ، وبازدياد الأقباط شعوراً بكيانهم وقوميتهم . وعندما فتح العرب مصر كانت اللهجة الصعيدية هى لغة الأدب القبطى عامة . وكل نهوض بعد ذلك للهجة البحيرية كان على أساس ترجمة الآداب الصعيدية التى انتشرت فى القرون الستة الأولى للمسيحية .

## 4 – أقوال الآباء : آثارها وشهرتها

كتب آباء الكنيسة القبطية فى نواح كثيرة أهمها فرعان رئيسيان هما : اللاهوت والنسكيات ، وقد حظيت كل تلك المؤلفات بشهرة عالمية منذ كتابتها .

<u>كتابات الآباء اللاهوتية :</u>

كان أساتذة الإسكندرية وبطاركتها هم عمد اللاهوت فى العالم المسيحى كله . لذلك كانت لكتاباتهم أهمية كبيرة وشهرة واسعة .

كان موقف الزعامة الفكرية الذى وقفه القديس أثناسيوس فى مجمع نيقية سنة 325 ، باعثاً على ذيوع كتاباته فى اللاهوت وتوضيحاته للإيمان المسيحى ، وأصبحت كتاباته المصادر الأولى لعلم اللاهوت المسيحى ، حتى أعتبر أثناسيوس أباً لعلم اللاهوت فى المسيحية . ومؤلفاته التى وضعها عن " تجسد الكلمة " و " الرد على الأريوسيين " و " الروح القدس " انتشرت هى أيضاً انتشاراً واسعاً ،

وعليها بنى باقى مشاهير اللاهوتيين أفكارهم حتى أصبح القول الشائع بين الغربيين فى تلك العصور هو : " إذا وجدت عبارة من أقوال أثناسيوس ولم تجد ورقة لتكتبها ، فاكتبها على قميصك فى الحال " ، ونعرف أن القديس " إيلارى " – أسقف بواتييه بفرنسا – لما ذاع صيته ، لقبوه " أثناسيوس الغرب " .

وهذه الشهرة والزعامة الفكرية انتقلت أيضاً إلى القديس كيرلس الإسكندرى حتى لقب بعامود الدين . وكان كافياً أن يقول الشخص " أنا على إيمان أثناسيوس وكيرلس " لكى يصبح هذا اعترافاً منه بالإيمان السليم .

وقد نالت كتابات ديديموس الضرير مدير المدرسة اللاهوتية فى عهد أثناسيوس شهرة واسعة ، حتى أن الأنبا داماسوس أسقف رومه لما طلب من القديس جيروم ، الذى كانت شهرته العلمية معروفة فى الكنيسة كلها ، أن يكتب له مؤلفاً عن الروح القدس ، وجد هذا أن أفضل ما يعمله هو أن يترجم إلى اللاتينية ما كتبه ديديموس الضرير فى هذا الموضوع .

هذه الشهرة التى نالتها كتابات آباء مصر فى القرنين الرابع والخامس سبقتها شهرة واسعة فى القرنين الثانى والثالث لأساتذة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية . ولعل أكبر مثال لها هو كتابات أوريجانوس التى تلقفها علماء الشرق والغرب ، فراعهم ما فيها من قوة وعمق . ومن أجل ذلك قام بترجمة الكثير منها إلى اللاتينية روفينوس وإيلارى أسقف بواتييه والقديس جيروم . بل أن غالبية معلمى الكنيسة اللاتينية وأعاظم اللاهوتيين فيها حرصوا على أن ينقلوا عن أوريجانوس ، كما يظهر ذلك من شرح لامبروسيوس أسقف ميلان معلم أوغسطينوس . وقد شهد أوسابيوس أسقف فرسيل فى إيطاليا أنه لم ير فلسفة حقيقية غير مؤلفات هذا العالم القبطى . وكان القديسان باسيليوس الكبير وإغريغوريوس الناطق بالإلهيات يعتبرانه معلماً لهما ، وقد جمعا مقتطفات من مؤلفاته فى كتاب أسمياه فيلوكاليا :

<u>أقوال الآباء فى النسك</u>

تلك الشهرة التى حظى بها آباء الأقباط فى اللاهوت تقابلها شهرة لا تقل عنها فى آداب الرهبنة . ولعل أبرز أمثلتها قوانين القديس باخوميوس وما نالته من شهرة ، حتى لقد نقلها إلى رومه القديس اثناسيوس إبان نفيه عن كرسيه . كما ترجم القديس جيروم حياة باخوميوس وقوانينه إلى اللاتينية سنة 404 لفائدة رهبان إيطاليا . ووصلت إلى بلاد الغال فى أوائل القرن الخامس عن طريق القديس يوحنا كاسيان الذى عمل على تطبيقها عملياً فى الدير الذى أسسه فى مارسيليا . ووضع القديس أوغسطينوس نظامه الرهبانى مسترشداً بقوانين باخوميوس ، وكذلك فعل القديس باسيليوس الكبير مؤسس الرهبنة اليونانية ، والقديس باتريك مؤسس كنيسة إيرلنده فى القرن الخامس بعد أن تتلمذ فى لوران فى دير على النظام الباخومى . وربما يكون من أهم وأبقى آثار الأنظمة الباخومية ما تركته من أثر فى الأديرة البندكتية . فإن بندكت فى القرن السادس أخذ عن قوانين باخوميوس حتى أنه فى بعض المواضع يكاد ينقل بالحرف الواحد . وديرمونت كاسينو فى إيطاليا لا يكاد

يختلف عن أى دير باخومى فى قنا . وهكذا انتشرت قوانين باخوميوس فى أرجاء العالم كله ، وعلى أساسها قامت الحركات الديرية فى العالم المسيحى . وما تزال هذه القوانين باقية حتى الآن باليونانية واللاتينية .

وآباء الرهبنة الذين لم يكتبوا ، وإنما أهتموا بممارسة الفضائل عملياً وبما يلقونه على تلاميذهم من تعاليم ، هؤلاء كانوا هم أنفسهم موضوعاً للكتابة ، فصنفت عنهم المؤلفات العديدة ، وإليهم كان يأتى كبار كتاب المسيحية فى العالم ليتسقطوا أخبارهم ويجمعوا كلماتهم القليلة لتكون نوراً للناس . وهكذا فى سنة 388 م جاء إلى مصر بلاديوس أسقف هلينوبوليس ومكث سنة بين رهبان الصعيد ، ثم رجع إليها سنة 406 وقضى حوالى سبع سنوات مع رهبان وادى النطرون وكتب كتابه الذى اصطلح على تسميته فيما بعد " بستان الرهبان " . وكذلك جاء القديس يوحنا كاسيان لزيارة وادى النطرون ما بين سنة 390 – سنة 400 م وضمن كتابيه " المعاهد " و " المقابلات " أخباراً كثيرة عن الرهبان المصريين ومقتطفات من أقوالهم . كما زار مصر لنفس الغرض سنة 386 القديس " جيروم " ومعه تلميذته " باولا " ، ووضع كتاباً عن القديس المصرى الأنبا " بولا " المتوحد ، وآخر عن الرهبان المصريين ضمنه أقوالهم وأخبارهم ، ورجع فأسس – على ضوء ما سمعه ورآه – ديرين فى بيت لحم بفلسطين أحدهما للرهبان والآخر للراهبات .

ولعل أشهر كتاب كان له أثر بالغ فى هذا المضمار هو كتاب " حياة أنطونيوس " الذى وضعه الأنبا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية بناء على إلحاح أهل رومه . وقد أشعل هذا الكتاب روح الرهبنة والنسك فى بلاد الغرب ، ويكفى أن قراءته كانت نقطة التحول فى حياة القديس أوغسطينوس الذى تأثر به جداً – كما يذكر فى اعترافاته – حتى ترك حياته القديمة ، ولم يصبح مسيحياً فحسب بل أحد مشاهير رجال المسيحية .

ولم تقتصر شهرة أقوال الآباء على عصورهم ، بل لا تزال لها قيمتها وشهرتها فى الأدب المسيحى حتى يومنا هذا . وقد تحمس أهل الغرب لترجمتها إلى لغاتهم ونشرها ، وهى تشغل جانباً هاماً من مجموعتى " منى " اللتين جمع فيهما فى أواخر القرن الماضى أقوال الآباء باليونانية وأقوال الآباء باللاتينية ، كما تشغل جانباً هاماً أيضاً فى مجموعة أقوال الآباء الشرقيين التى تصدر تباعاً فى باريس . وقد صدرت عن أقوال الآباء بحوث ومؤلفات عديدة ، وترجمت كتبهم إلى اللغات الأوروبية الحديثة مع مقدمات وافية لحياة مؤلفيها وأسلوبهم وشهرتهم . أما آباء الصحراء فقد انتشرت أقوالهم فى ترجمة كتابات بلاديوس وكاسياس وجيروم . وفى سنة 1923 أصدر عنهم " بوسيه " كتابه الخاص بأقوال الآباء .

## اهتمام العالم بالمخطوطات القبطية

لم تكن كل كتابات الأقباط بالقبطية كما قلنا ، وإنما كتب جزء وافر منها باليونانية . ولهذا كان للأقباط فضل على الأدب اليونانى إذ ضموا إليه ذخيرة جديدة قبطية روحاً وإن كانت تلبس ملابس يونانية . غير أن الأقباط – وبخاصة الرهبان

– عادوا فترجموا إلى القبطية كتابات آبائهم التى كتبت باليونانية . وبهذا أصبحت هذه الذخيرة الثقافية والأدبية من التراث القبطى موجودة باليونانية والقبطية معاً .

واهتم العالم اهتماماً كبيراً بالمخطوطات القبطية سواء منها المكتوبة أصلاً بالقبطية أو المترجمة إليها . وظهر هذا جلياً بعد حركة النهضة الأوربية . فأخذ الرحالة والمبعوثون العلميون يجمعون المخطوطات القبطية من الأديرة والكنائس القديمة . وهكذا ذكر الرحالة " ليبرسك " أحد هواة الكتب بباريس بعد زيارته لمصر سنة 1633 م أنه وجد كتباً نادرة فى كثير من الأديرة منها مجموعة من حوالى 8000 مخطوطة ترجع إلى العصر الأنطونى وجدها فى أحد أديرة وادى النطرون . وفى أوائل القرن الثامن عشر أرسل الفاتيكان بعثتين حصلتا على مجموعة طيبة من المخطوطات القبطية من دير أبا مقار . وفى سنة 1839 حصل " هنرى تتام " على مجموعته النفيسة التى كانت من نصيب مكتبة رايندز بمنشستر . وتوالت الزيارات على مصر لهذا الغرض . فعثر على مخطوطات بالدير الأبيض أستولت على غالبيتها المكتبة الأهلية بباريس ونال المتحف البريطانى بعضاً منها . ثم اكتشفت مجموعة مورجان سنة 1910 م فى دير الحامولى بالفيوم ونسبت إلى مشتريها " بيربونت مورجان " أحد أثرياء الأمريكيين .

وتزخر مكتبات أوروبا وأمريكا بعدد كبير من الشقافة المكتوبة بالقبطية تشتمل على رسائل وإيصالات وصكوك وعقود وغير ذلك حتى لقد بلغ عدد الشقافات القبطية المكتوبة والمحفوظة فى فينا بالنمسا حوالى عشرة آلاف شقافة .

وعثر فى مصر سنة 1929 على مجموعة من البرديات القبطية تشتمل على تعاليم مانى وهى محفوظة الآن فى متحف برلين .

كما عثر فى سنة 1946 على برديات قبطية تبلغ ألف صفحة تشتمل على رسائل غنوسية وقد استولى عليها المتحف القبطى فى القاهرة .

وبهذا كله امتلأت المتاحف والمكتبات العامة فى اوروبا وأمريكا بهذه المخطوطات .

وما بقى منها محفوظ فى مكتبة الدار البطريركية والمتحف القبطى بالقاهرة ومكتبات الأديرة والكنائس القديمة .

وقامت هيئات علمية بطبع فهارس لهذه المخطوطات القبطية ، ونشر بعض المخطوطات وترجمة البعض منها مع دراستها والتعليق عليها . وقام علماء كثيرون فى جهات متفرقة من العالم لدراسة هذه المخطوطات نذكر من بينهم كرم ، وأميلينو ، وإيفلين هوايت ، وتشيندورف ، وورل ، وتل ، ولوفور ، وبدج ، وإيفتس ،وكاله ، وبولينج ، وكراوسه وغيرهم .

وأصبحت للدراسات القبطية فى جامعات أوروبا وأمريكا أقسام خاصة يتفرغ لها أساتذة وعلماء .